سلسلة أمهات المؤمنين

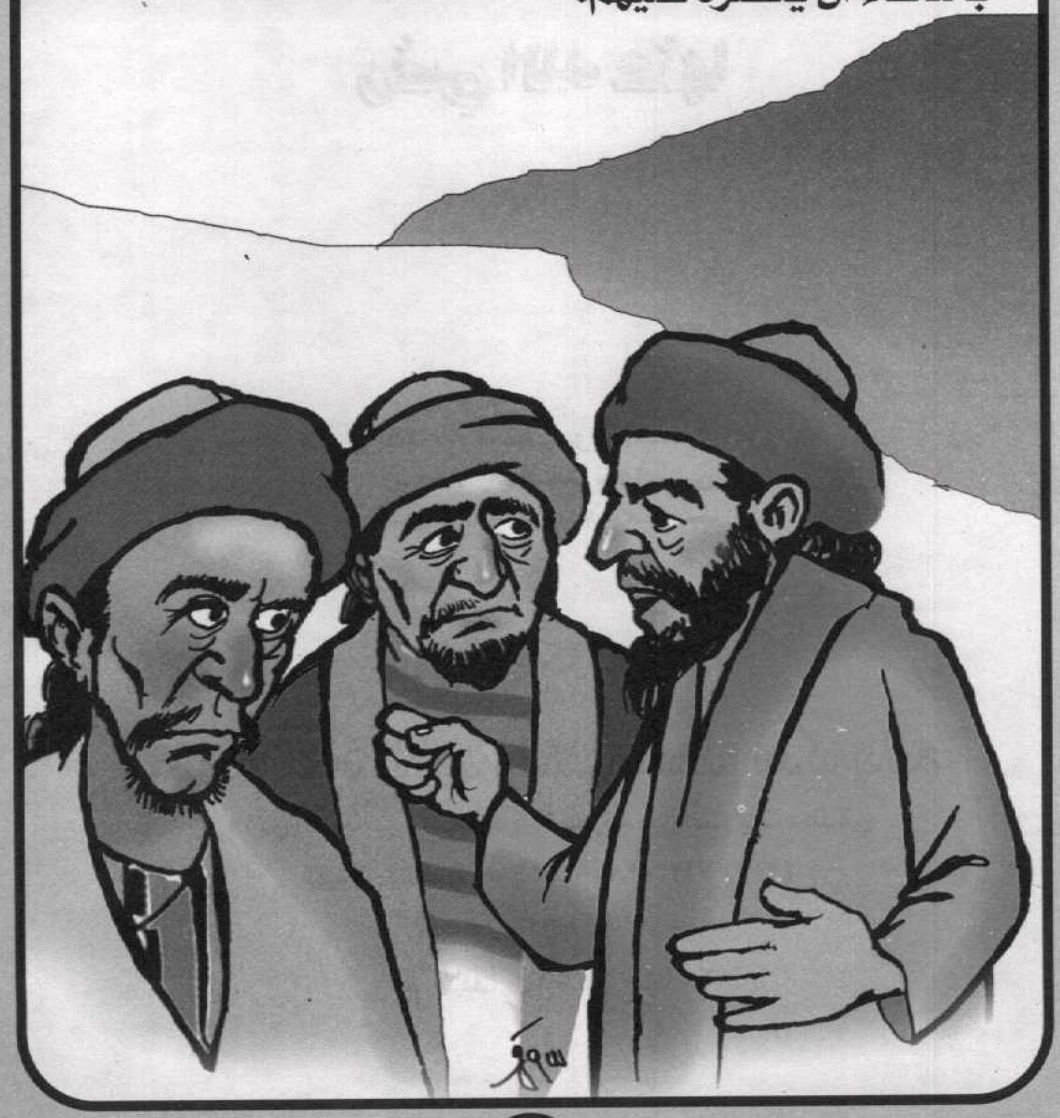
صفية بنت حيى

رضي الله عنها

إعداد/ مسعـــود صبـــرى
رسوم/ احمـــد شوقـــى
جرافيك/ شريـــف محمـــد

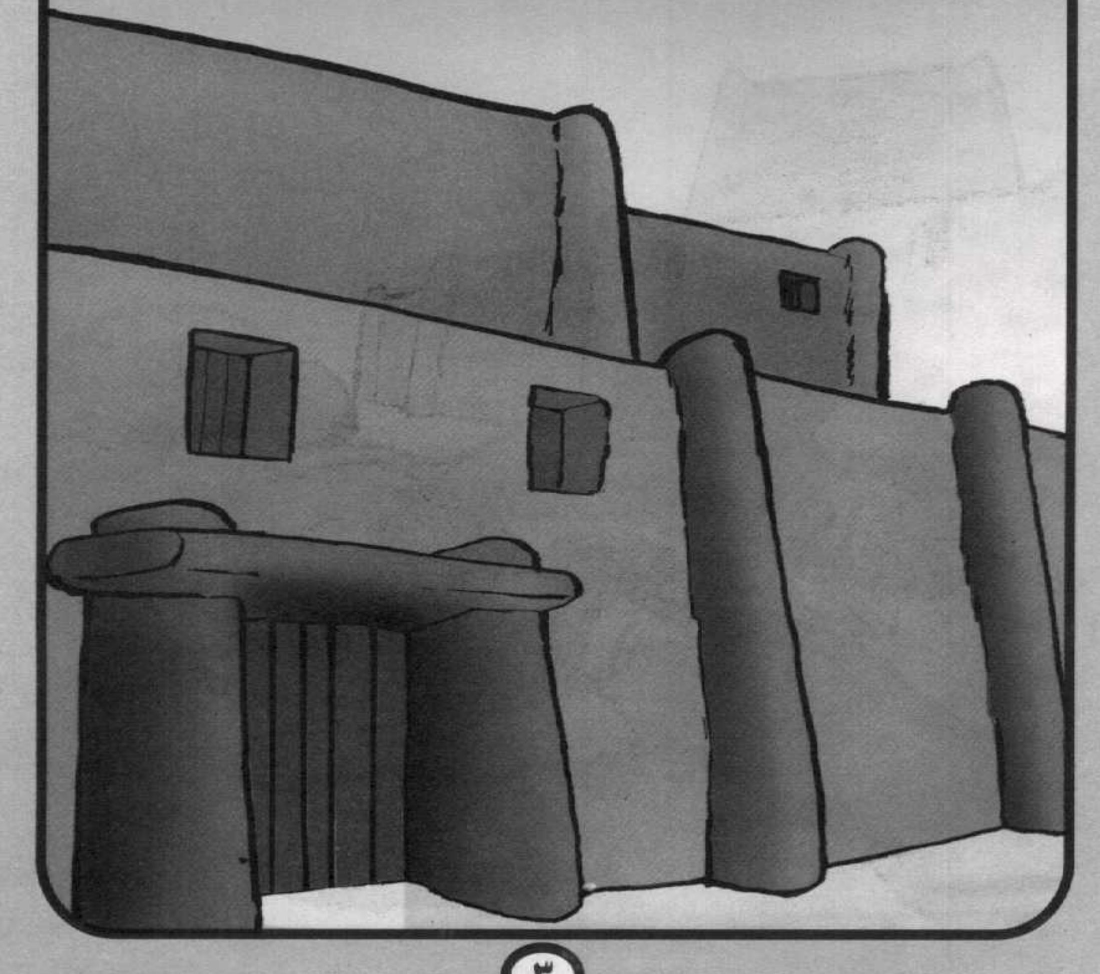
١١ ش الطوبجي - خلف مرور الجيزة - بين السرايات - الدقي
تليفون وفاكس: ٧٤٩٣٦٨٥ - ٧٦٢٣٥٩٨ (٢٠٢)
محمول: ٠١٠/٥٠١٤٥٧٣
رقم الإيداع: ٢٠٠٤/٩٤٧٦

بعد أن أجلى الرسول ﷺ يهود بنى قريظة وغيرهم من المدينة، ذهبوا إلى أبناء عمومتهم من اليهود فى خيبر، وتآمر الجميع على رسول الله ﷺ، وبعثوا للأعراب يدعونهم لحرب المسلمين، ووصلت الأنباء للنبي ﷺ أن اليهود يدبرون لحرب المسلمين، فحث النبى ﷺ الصحابة على الجهاد، فخرجوا معه، ووصلوا قرب خيبر، فتوجه النبى ﷺ لربه بالدعاء أن ينصره عليهم.



وهناك استقر المسلمون على مقربة منهم، دون أن يشعر بهم أحد، ولما وصلوا الفجر، رآهم بعض اليهود الذين خرجوا للعمل صباحاً، فأسرعوا راجعين إلى حصونهم خوفا من المسلمين فقال النبى ﷺ: "الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين".

وحاصر الرسول ﷺ خيبر، وفتحها الله عليهم حصناً حصناً، حتى نصرهم الله، وقتل منهم عدداً كبيراً، وسبى النساء والأطفال، وكان من السبى ابنة سيد اليهود " صفية بنت حيي بن أخطب".



وبعد انتهاء الغزوة، أخذ بلال - رضى الله عنه - صفية وابنة عمها، وجعل يمر بهما على قتلى اليهود، فكانت صفية صابرة، لا تظهرضعفاً ولا جزعاً، بينما كانت ابنة عمها تشق الجيوب، وتلطم الخدود، ثم أتى بهما بلال إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى ابنة عم صفية معفرة بالتراب من اللطم والعويل، أمرالرسول ﷺ أن تبعد عنه، واقترب من صفية ووضع عليها رداءه، ثم عرض عليها أن يعتقها وترجع إلى أهلها، وأن تشهد أنلا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فشهدت ودخلت الإسلام، فاختارها الرسول ﷺ لنفسه زوجة.

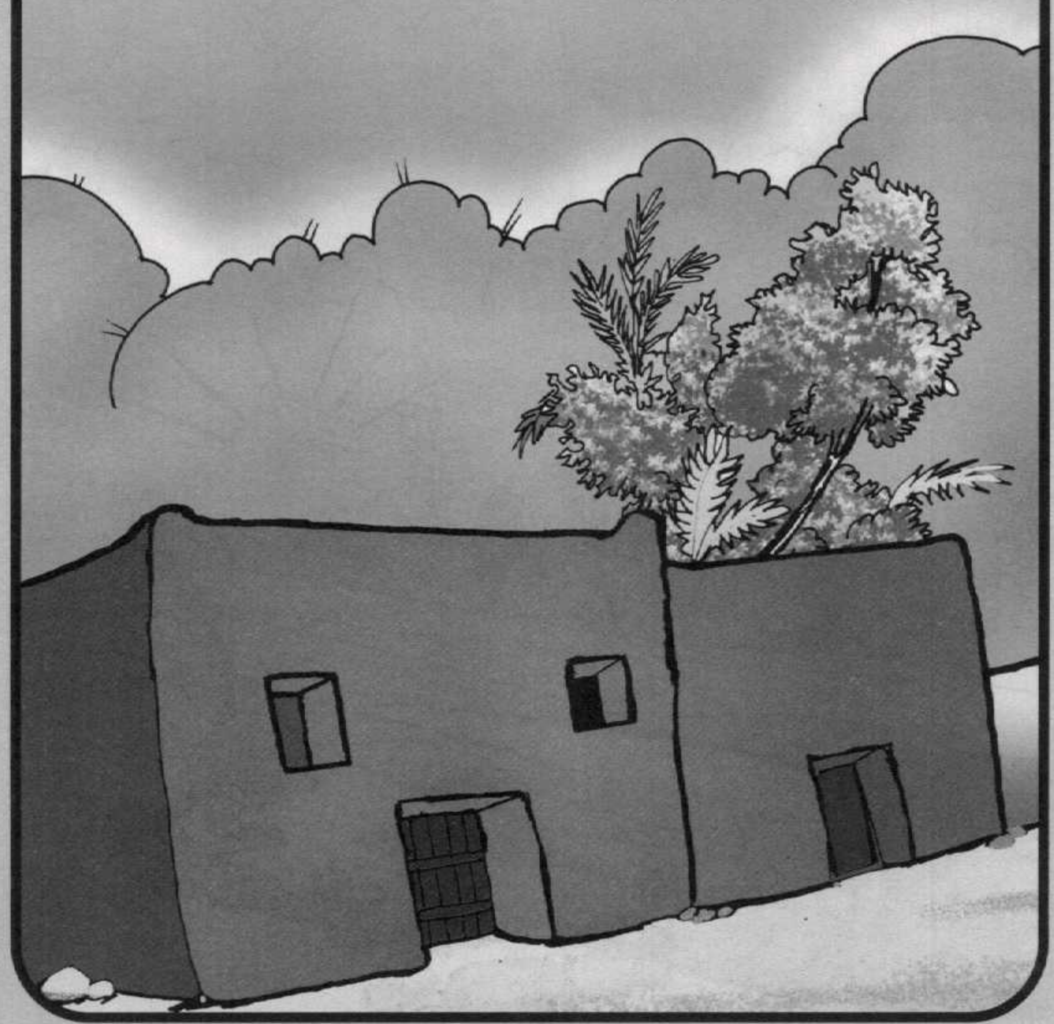


وحمل النبى ﷺ السيدة صفية على جمل، واتجه عائداً ناحية المدينة، وعلى بعد ستة أميال من خيبر أراد النبى ﷺ أن يبنى بها ، ولكنها امتنعت، فحزن النبى ﷺ لذلك.

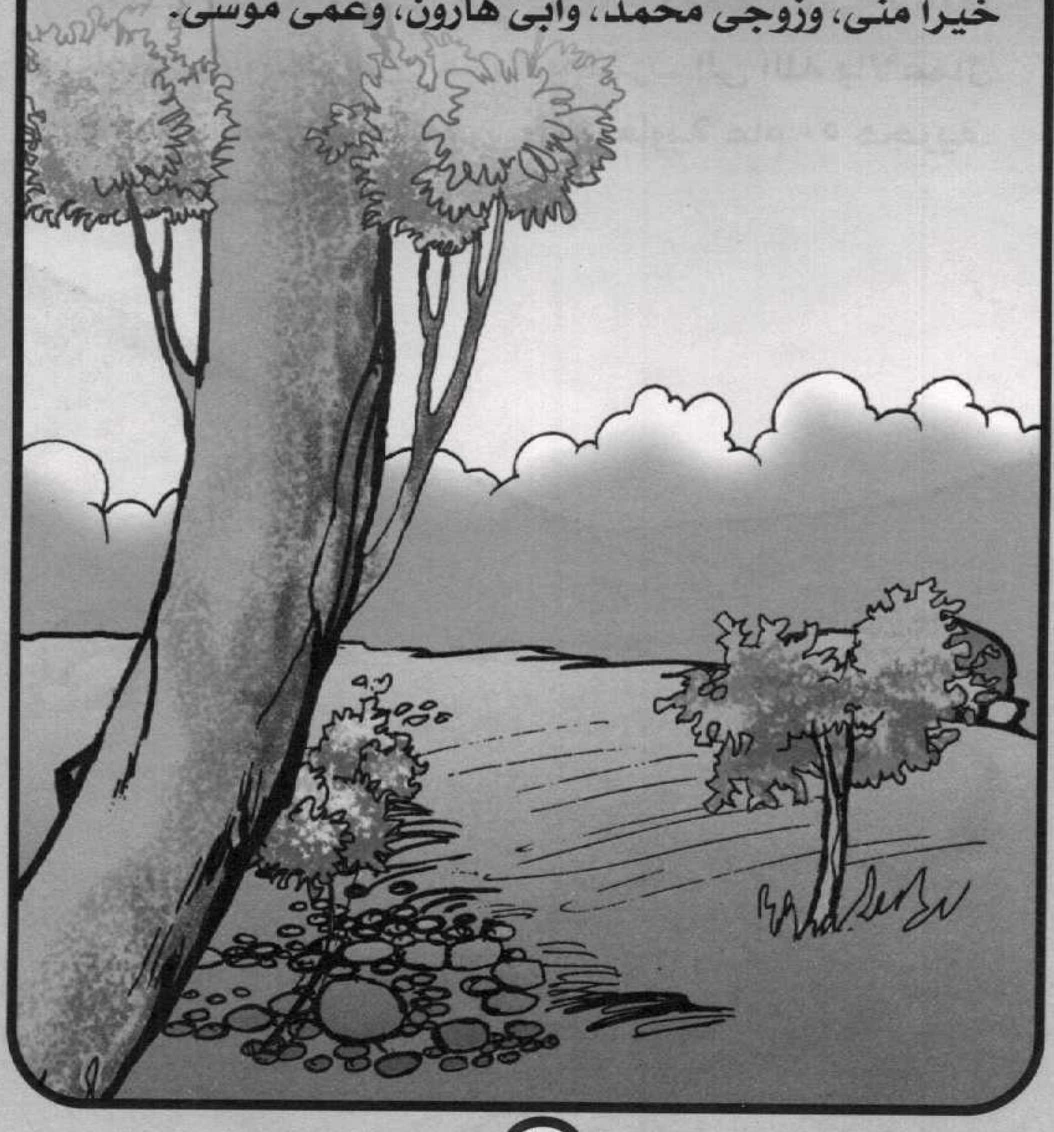
ولما وصل النبى ﷺ المدينة بالجيش، عسكر بمكان فيها، ونزل للراحة، وجاءت إحدى الصحابيات وزينت صفية له، فدخل بها، وأخبرته أنها امتنعت عنه قبل ذلك خوفاً عليه من اليهود، فشكر لها النبى ﷺ حرصها عليه .



وتزوج النبى ﷺ السيدة صفية بنت حيي فى العام السابع من الهجرة، وكان عمرها وقتئذ سبع عشرة سنة ، وكانت متزوجة قبل النبى ﷺ مرتين، ولما تزوجت النبى ﷺ، حكت له أنها رأت فى ليلة من الليالى أن قمراً وقع فى حجرها، فلما استيقظت، أخبرت زوجها بذلك، فقال غاضباً: أتتمنين ملك العرب محمداً، وبذلك تكون قد تحققت رؤيا السيدة صفية بنت حيي - رضى الله عنها - ودخلت بيت النبى ﷺ، لتصبح إحدى أمهات المؤمنين.



وكانت نساء النبى ﷺ يغرن من السيدة صفية، فقد بلغها يومًا أن السيدة حفصة قالت عنها: أنها بنت يهودى، فبكت السيدة صفية، فلما دخل عليها النبى ﷺ سألها عن سبب بكائها، فقالت: قالت لى حفصة: إنى بنت يهودى، فقال لها ﷺ :"إنك لابنة نبى- يقصد هارون لأنها من نسله -، وإن عمك نبى -أي موسى-، وإنك لتحت نبى، ففيم تفخر عليك"، وأصبحت صفية تفخر قائلة لعائشة وحفصة: كيف تكونان خيرًا منى، وزوجى محمد، وأبى هارون، وعمى موسى.



وكان لصفية فى قلب النبى ﷺ منزلة عظيمة، فقد كان ﷺ يخرج من معتكفه يكلمها، وذات يوم خرج إليها، فمر عليه رجلان من الأنصار، فرأيا النبى ﷺ يقف معها، فأسرعا، فقال لهما النبى ﷺ: "على رسلكما، إنها صفية بنت حيي"، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، فأخبرهما النبى ﷺ أن الشيطان يوسوس للإنسان، فخشى عليهما من وسوسة الشيطان.

وكانت صفية - رضى الله عنها - تعطف على أقاربها بالصدقة، وتكثر من العبادة والتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، حتى توفيت فى عهد معاوية عام ٥٠ هجرية، ودفنت بالبقيع رضى الله عنها.

